No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

"الحرية والإرادة الإنسانية في الفكر الكلامي القديم والجديد: دراسة مقارنة" نماذج مختارة

ا. م. د جبار محمد هاشم الموسوي
جامعة الكوفة كلية الآداب قسم الفلسفة
Email: almusawijabbar@gmail.com
م. د عدنان جحيل شدود
وزارة التربية مديرية تربية النجف الاشرف
aagm197835@gmail.com

الملخص

تناول هذا البحث بالتحليل المقارن إشكالية "الحرية والإرادة الإنسانية" (الجبر والاختيار)، متتبعاً تطورها الدلالي والوظيفي داخل منظومة الفكر الكلامي الإسلامي، بدءاً من الجدالات التأسيسية لـ "علم الكلام القديم" (المعتزلة والأشاعرة نموذجاً) وانتهاءً بإعادة الصياغة التي قدمها "علم الكلام الجديد" في مواجهة تحديات الحداثة وما بعدها. يكمن الإشكال المحوري في الكشف عن طبيعة "الانزياح" في طرح المسألة؛ فبينما انشغل الكلام القديم بالدفاع عن "العدل الإلهي" (عند المعتزلة) أو "القدرة الإلهية المطلقة" (عند الأشاعرة) في سياق ميتافيزيقي يرتبط بإشكالية "الشر (Theodicy) "، يواجه الكلام الجديد تحدي إثبات "فاعلية الإنسان (Human Agency) "في التاريخ والمجتمع كشرط للنهوض الحضاري .يتبنى البحث المنهج التحليلي المقارن والمنهج التاريخي-التفكيكي ، لاستقراء النصوص الأصلية وتفكيك البنى الحجاجية لكلا التيارين .توصل البحث إلى أن الجدل الكلامي القديم حول "خلق الأفعال" و "الكسب" كان في جوهره جدلاً حول طبيعة العلاقة بين الذات الإلهية والفعل الإنساني، وهو جدل يوازي في عمقه ما شهده اللاهوت المسيحي في العصور الوسطى. بينما أعاد "علم الكلام الجديد" صياغة المسألة، مستخدماً آليات "التجديد" المنهجية، لتصبح جدلاً حول "مسؤولية الإنسان التاريخية" و "حريته في تأويل النص" . وأوصى البحث بضرورة تجاوز الاستقطاب التقليدي بين "الجبر" و "التفويض" لصالح بناء نظرية كلامية معاصرة في "الفاعلية الإنسانية" تستلهم من التراث أصوله الأخلاقية ومن الحداثة وعيها بالحرية الفردية والتاريخية.

الكلمات المفتاحية :الحرية الإنسانية، الإرادة، علم الكلام القديم، علم الكلام الجديد، الجبر والاختيار، المعتزلة، الأشاعرة، العدل الإلهي، الأصالة والحداثة.

Freedom and Human Will in Classical and Modern Theological Thought: A Comparative Study - Selected Examples

Asst. Prof. Dr. Jabbar Muhammad Hashem Al-Musawi
Inst.Dr.ADNAN JIHEEL SHADOOD

Abstract

This research employs a comparative analysis of the problem of "freedom and human will" (determinism and free will), tracing its semantic and functional development within the framework of Islamic theological thought. It begins with the foundational debates of "classical theology" (the Mu'tazilites and Ash'arites being prime examples) and concludes with the reformulation offered by "modern theology" in response to the challenges of modernity and postmodernity. The central problem lies in revealing the nature of the "shift" in the framing of the issue. While classical theology was preoccupied with defending "divine justice" (according to the Mu'tazilites) or "absolute divine power" (according to the Ash'arites) within a metaphysical context linked to the

problem of "evil" (theodicy), modern theology faces the challenge of proving "human agency" in history and society as a prerequisite for civilizational advancement. The research adopts a comparative analytical approach and a historical-deconstructive methodology to examine the original texts and deconstruct the argumentative structures of both schools of thought. The research concluded that the ancient theological debate surrounding the "creation of actions" and "acquisition" was essentially a debate about the nature of the relationship between the divine essence and human action—a debate whose depth parallels that of medieval Christian theology. Meanwhile, "modern theology" reformulated the issue, employing methodological mechanisms of "renewal," transforming it into a debate about "human historical responsibility" and "human freedom in interpreting texts." The research recommended moving beyond the traditional polarization between "determinism" and "free will" in favor of constructing a contemporary theological theory of "human agency" that draws its ethical foundations from tradition and its awareness of individual and historical freedom from modernity.

Keywords: Human freedom, will, ancient theology, modern theology, predestination and free will, Mu'tazilites, Ash'arites, divine justice, authenticity and modernity.

مقدمة:

لم تكن مسألة "حرية الإرادة الإنسانية (Problem of Free Will) "مجرد ترفٍ فلسفي في تاريخ الفكر البشري، بل كانت، ولا تزال، القضية المحورية التي يتقاطع عندها تحديد هوية الإنسان، ومعنى مسؤوليته الأخلاقية، وطبيعة علاقته بالقوة المطلقة (الله) وبالكون .لقد احتلت هذه الإشكالية مركز الصدارة في أقدم وأعقد السجالات المعرفية، ليس فقط في "علم الكلام" الإسلامي، ولكن أيضاً في "فلسفة اللاهوت المسيحي" (علي، ٢٠٢٥: ٩٦) ، لكونها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم دينية وخلقية جوهرية كالعدل الإلهي، والتكليف، والمسؤولية، والجزاء، وإشكالية الخير والشر (جاد الله، ٢٠٢٣: ١٥٥).

في قلب الحضارة الإسلامية، انفتح باب الجدل الذي لم يُغلق حتى يومنا هذا (الخولي، ٢٠١٧: ٤٥) منذ اللحظة التي بدأ فيها العقل المسلم يتساءل عن كيفية التوفيق بين "قدرة الله المطلقة" و "عدله المطلق" من جهة، و "مسؤولية الإنسان عن أفعاله" التي يترتب عليها الثواب والعقاب من جهة أخرى. لقد تبلور "علم الكلام القديم" في معظمه حول هذه الثنائية. فقامت مدرسة المعتزلة على أصل "العدل" الإلهي، الذي اقتضى بالضرورة القول بـ "حرية الإنسان المطلقة" في خلق أفعاله (التفويض)، ليكون الحساب عادلاً (القاضي عبد الجبار، ١٩٦٥: ٣٠١). وعلى النقيض، شددت مدرسة الأشاعرة على أصل "التوحيد" في الأفعال (لا خالق إلا الله)، وعلى "القدرة الإلهية الشاملة"، وطرحت نظرية "الكسب" المعقدة كمحاولة توفيقية تمنح الإنسان "مناط التكليف" دون أن تمنحه "قدرة الخلق" (الباقلاني، ١٩٥٧: ٧٨).

ومع بزوغ العصر الحديث، وهبوب رياح الحداثة الغربية، واجه الفكر الإسلامي تحديات من نوع مختلف تماماً. لم يعد الخصم هو "الجبري" أو "القدري" التقليدي، بل أصبح "الحتمية المادية (Materialistic Determinism)"، و "الفلسفة الإنسانوية (Humanism) "التي تضع الإنسان كمركز للكون (حنفي، ١٩٨٨: ٢٠٥). هذا السياق الجديد أجبر "علم الكلام الجديد" على إعادة طرح السؤال، ولكن بصيغة مختلفة: لم يعد السؤال "هل الإنسان مخير أم مسير؟" في سياق ميتافيزيقي بحت، بل أصبح: "كيف يمكن للإنسان المسلم أن يكون فاعلاً في التاريخ؟"، و"ما هي حدود حريته في مواجهة بنى اجتماعية وسياسية قاهرة؟"، و"كيف يمكن للإرادة الإنسانية أن تعيد بناء الواقع الحضاري المتأزم؟" (إقبال، ٢٠١٠: ١٢٠).

من هنا، تبرز أهمية هذا البحث، الذي لا يهدف إلى تكرار ما قاله القدماء، بل يهدف إلى إجراء "دراسة مقارنة" تكشف عن تطور "بنية الإشكالية" ذاتها .يسعى البحث إلى رصد "القطيعة المعرفية" و "نقاط الاتصال" بين الخطاب الكلامي القديم حول "الإرادة (Theological Will) "والخطاب الكلامي الجديد حول "الحرية(Historical Freedom) "، وكيف تعامل "علم الكلام الجديد" مع هذه الإشكالية بمنهجيات تتراوح بين "الأصالة" (البناء على القديم) و "الحداثة" (تأسيس أسس جديدة) (بابا وآخرون، ٢٠٢٢: ١٧٧).

إشكالية البحث:

تنطلق إشكالية هذا البحث من تساؤل مركزي :**إلى أي مدى حدث انزياح دلالي ووظيفي في مفهوم "الإرادة الإنسانية" بين منظومة علم الكلام القديم ومنظومة علم الكلام الجديد؟ وكيف أعادت تحديات الحداثة تشكيل بنية الجدل حول "الجبر والاختيار"؟** وتتفرع عن هذه الإشكالية المحورية أسئلة فرعية:

١. ما هي الأسس الميتافيزيقية والأخلاقية (خاصة فيما يتعلق بـ "العدل الإلهي" و "إشكالية الشر") التي بنت عليها كل من المعتزلة والأشاعرة نظريتهما في "الإرادة الإنسانية" (الخلق والكسب)؟

٢. ما هي أوجه التشابه والافتراق بين الجدل الكلامي الإسلامي (المعتزلة) والجدل اللاهوتي المسيحي (عند أنسلم والدمشقي) في معالجة ثنائية "العلم الإلهي المسبق" و "حرية الاختيار"؟

٣. ما هي التحديات الفكرية والواقعية التي استدعت ظهور "علم كلام جديد"؟ وكيف تمثل هذا التجديد منهجياً بين دعوات "الأصالة" (تنقية القديم) و "الحداثة" (تجاوز القديم)؟

٤. كيف أعاد مفكرو "علم الكلام الجديد" (مثل محمد إقبال، وحسن حنفي، ونصر حامد أبو زيد) صياغة مفهوم "الإرادة الإنسانية"؟ وهل انتقل المفهوم من "فعل ميتافيزيقي" إلى "فاعلية تاريخية"؟

٥. ما هي أبرز نقاط الالتقاء (الاستمرارية) والافتراق (القطيعة) بين الطرحين القديم والجديد في معالجة هذه الإشكالية؟

أهمية البحث:تكتسي هذه الدراسة أهمية على عدة مستويات:

- **أهمية معرفية (نظرية) :**تساهم الدراسة في سد فجوة في الدراسات المقارنة التي تتناول "التطور الداخلي" للفكر الكلامي. فغالبية الدراسات إما تركز على الكلام القديم بمعزل عن الحداثة، أو تتناول الكلام الجديد كرد فعل على الغرب، دون رصد دقيق لجذوره وتحولاته من داخل التراث (الخضيري، ٢٠١٩: ١٥).
- **أهمية مقارنة (لاهوتية) :**يفتح هذا البحث أفقاً للمقارنة بين علم الكلام الإسلامي واللاهوت المسيحي (عند شخصيات محورية كالدمشقي وأنسلم) ، مبيناً أن إشكالية "الحرية" هي إشكالية "بنيوية" في الفكر التوحيدي، وأن دراسة الحلول المقترحة في كلا التقليدين يثري فهمنا لعمق القضية.
- **أهمية منهجية :**يقدم البحث نموذجاً تطبيقياً للمنهج المقارن والمنهج التفكيكي في دراسة تطور الأفكار، من خلال تحليل "بنية السؤال" وليس "الإجابات" فقط، مما يكشف عن التحولات العميقة في "البارادايم " (Paradigm)الفكري الإسلامي (أركون، ١٩٩٦: ٥٥) .كما يستفيد من الجدل المنهجي في "أصول الفقه" حول "الأصالة والحداثة "لتصنيف اتجاهات "علم الكلام الجديد."
- **أهمية حضارية (واقعية) :**ترتبط إشكالية الحرية والمسؤولية اليوم ارتباطاً وثيقاً بقضايا النهوض الحضاري، والاستبداد السياسي، والجمود الفكري. وفهم كيفية تعامل الفكر الإسلامي (قديماً وحديثاً) مع هذه الإشكالية يساعد في بلورة خطاب معاصر يؤسس لـ "إنسان فاعل" ومسؤول (العروي، ١٩٩٣: ٨٨).

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يلي:

١. تحديد الإطار النظري والمفاهيمي لجدلية "الجبر والاختيار" في علم الكلام القديم (المعتزلة والأشاعرة)، وربطها بإشكالية "العدل والشر."

٢. إجراء مقارنة تحليلية بين الطرح الكلامي الإسلامي والطرح اللاهوتي المسيحي الموازي (عند أنسلم والدمشقي) للكشف عن البنى المنطقية المشتركة في مواجهة ثنائية) العلم الإلهي/الإرادة الإنسانية.(

٣. رصد أهم التحديات والسياقات الفكرية التي شكلت أرضية لظهور "علم الكلام الجديد"، وتصنيف استجاباته وفقاً لمنهجيات "الأصالة" و "الحداثة."

٤. تحليل نماذج مختارة من "علم الكلام الجديد" (إقبال، حنفي، أبو زيد) للكشف عن كيفية إعادة صياغتهم لمفهوم "الإرادة الإنسانية."
٥. الوصول إلى نتائج تقيّم مدى نجاح "علم الكلام الجديد" في تقديم حل أصيل ومعاصر لإشكالية الحرية الإنسانية.

منهجية البحث:

لتحقيق أهداف البحث والإجابة عن إشكالياته، سيعتمد البحث على تكامل المناهج التالية:
١. **المنهج التاريخي التحليلي :**لتتبع التطور التاريخي لمفهوم "الإرادة" ضمن سياقاته المعرفية والسياسية، وتحليل البنية المنطقية للحجج الكلامية (قديماً وحديثاً).
٢. **المنهج المقارن :**وهو جوهر البحث، ويتم عبر مستويين:
- مقارنة أفقية (داخل الكلام القديم): بين المعتزلة والأشاعرة.
- مقارنة بين-لاهوتية :(Cross-Theological) بين علم الكلام الإسلامي (المعتزلة) واللاهوت المسيحي (الدمشقي وأنسلم).
- مقارنة رأسية (بين القديم والجديد): بين التصور الميتافيزيقي للإرادة والتصور التاريخي/الأخلاقي لها.

٣. **المنهج التفكيكي :(Deconstruction)** سيتم استخدامه لتفكيك الخطابات الكلامية للكشف عن المسلمات المضمرة، وتحديد "مركز" الاهتمام في كل خطاب (هل هو "الله" وصفاته، أم "الإنسان" وفاعليته؟) (دريدا، ١٩٨٩: ١١٥).

دراسات سابقة:

حظيت مسألة "الجبر والاختيار" باهتمام لا ينقطع في الدراسات الإسلامية، إلا أن الدراسات التي تقارن بين الطرح "القديم" والطرح "الجديد" بشكل منهجي لا تزال محدودة. ومن أبرز ما تم الاطلاع عليه (بالإضافة إلى الدراسات المذكورة في متن البحث):

- دراسة عادل سالم جاد الله (٢٠٢٣) "حرية الإرادة وإشكالية الشر في العالم عند اللاهوتيين يوحنا الدمشقي... وتيودور أبي قرة... مقارنة بالمعتزلة :"تُعد هذه الدراسة (المرفقة) مرجعاً محورياً لبحثنا . تركز الدراسة على المقارنة المباشرة بين اللاهوت المسيحي الشرقي (الدمشقي وأبي قرة) وبين المعتزلة . وتكمن أهميتها في إثبات أن جدل "الحرية والعدل والشر" كان "جدلاً مشتركاً" و "ديناميكياً" بين الفكرين . يستفيد بحثنا الحالي من هذه المقارنة لتعميق تحليل "المحور الأول" (الكلام القديم) وبيان أن إشكالية المعتزلة لم تكن منغلقة على ذاتها.
- دراسة أسمهان محمد شاكر علي (٢٠٢٥) "ماهية الإرادة الإنسانية وخصائصها عند القديس أنسلم : " هذه الدراسة (المرفقة) تقدم تحليلاً عميقاً لفيلسوف ولاهوتي غربي (أنسلم) وكيف عالج إشكالية الإرادة، والحرية، وعلاقتها بـ "الاستقامة (Rectitude) "والعقل الإلهي .سيسظفيد هذا البحث من دراسة (علي) لإجراء مقارنة مع "الأشاعرة" تحديداً، فكلاهما (أنسلم والأشاعرة) حاولا التوفيق بين "القدرة الإلهية" و "الاختيار الإنساني" بطرق معقدة، على عكس المعتزلة الذين انحازوا للحرية بشكل مطلق.
- دراسة ثاوات محمد آغا بابا وآخرون (٢٠٢٢) "تجديد علم أصول الفقه بين الأصالة والحداثة : "على الرغم من أن هذه الدراسة (المرفقة) تتناول "أصول الفقه" وليس "علم الكلام" مباشرة، إلا أنها تقدم "إطاراً منهجياً" بالغ الأهمية لبحثنا .فمفهوما "الأصالة" (التجديد من الداخل والبناء على القديم) و "الحداثة" (القطيعة مع القديم وتأسيس أصول جديدة لزماننا) هما بالضبط ما يحتاجه "المحور الثالث" من بحثنا لتحليل وتصنيف اتجاهات "علم الكلام الجديد."
- **دراسة ماجد فخري (١٩٩٧) "تاريخ الفلسفة الإسلامية :"**قدمت عرضاً كلاسيكياً لمواقف الفرق الكلامية .لكنها، بحكم طبيعتها التأريخية، لم تتعرض لمحاولات التجديد المعاصرة أو المقارنات اللاهوتية العميقة التي يستهدفها بحثنا.
- **دراسة محمد عمارة (١٩٩٣) "المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية :"**ركزت على موقف المعتزلة، وأعادت إحياءه كنموذج لـ "العقلانية الإسلامية ."أهميتها تكمن في الدفاع عن الحرية من منظور تراثي، لكنها لم تقارنه بتحديات الحرية في الفكر المعاصر.

No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

يتميز هذا البحث عن الدراسات السابقة بكونه "بحثاً تركيبياً(Synthetic Research) "؛ فهو لا يكتفي بعرض موقف واحد، بل "يصهر" نتائج الدراسات المرفقة في بوتقة واحدة: فيستخدم دراسة (جاد الله، ٢٠٢٣) لربط المعتزلة باللاهوت الشرقي، ودراسة (علي، ٢٠٢٥) لربط الأشاعرة باللاهوت الغربي (أنسلم)، ودراسة (بابا وآخرون، ٢٠٢٢) لتوفير "العدة المنهجية" لتحليل "علم الكلام الجديد."

المحور الأول: الإرادة الإنسانية في علم الكلام القديم

شكلت مسألة "الفعل الإنساني" حجر الزاوية في الخلافات الكلامية المبكرة .ولم يكن الجدل مجرد نقاش نظري، بل ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمسائل عقدية جوهرية (العدل الإلهي، القدرة الإلهية) ومسائل سياسية (شرعية الحاكم الظالم).

١-١- المعتزلة: الحرية كشرط لـ "العدل الإلهي" (التفويض) انطلقت المعتزلة من "أصل العدل" لتأسيس رؤيتهم للحرية. فلكي يكون الله عادلاً في ثوابه وعقابه، يجب أن يكون الإنسان هو "الخالق" الحقيقي لفعله، خيراً كان أو شراً.

١. **المفهوم المركزي" :**خلق الأفعال" أو "التفويض". الإنسان لديه "قدرة" (استطاعة) حقيقية ومؤثرة تسبق الفعل. يوجز القاضي عبد الجبار هذا الموقف بقوله إن "أفعال العباد... محدثة من جهتهم وباختيارهم" (القاضي عبد الجبار، ١٩٦٥، ج٨: ٣).

٢. **الغاية: تنزيه الله عن "فعل القبيح" وإشكالية "الشر** ."كان هذا هو الدافع الأكبر. فالله لا يأمر بالفحشاء، ولا يمكن أن يُعاقب العبد على فعلٍ هو (الله) خالقه (الخياط، ١٩٢٥: ٩٥) .لقد كانت هذه النقطة ساحة جدل كبرى ليس فقط داخل الإسلام، بل بين اللاهوتيين المسيحيين والمسلمين، حيث حاول كلاهما (المعتزلة واللاهوتيون مثل الدمشقي) إثبات أن الله (مصدر الخير) لا يمكن أن يكون "علة للشرور" (جاد الله، ٢٠٢٣: ١٧٩).

٣. **البراهين :**استدل المعتزلة ببراهين عقلية ونقلية.

- **دليل التكليف (الثواب والعقاب) :**لا يستقيم "الأمر" و "النهي" و "الوعد" و "الوعيد" إن لم يكن الإنسان قادراً على الفعل والترك (جاد الله، ٢٠٢٣: ١٦٨).
- **دليل الوجدان (الشعور الداخلي) :**استخدم المعتزلة ما يُعرف بـ "دليل الضرورة" أو "شهادة الوجدان"، وهو أن الإنسان يفرق "ضرورةً" بين حركاته الاختيارية (كالكتابة) وحركاته الاضطرارية (كالارتعاش) (جاد الله، ٢٠٢٣: ١٧٧).

٤. **الإشكالية :**واجه هذا الطرح إشكالية "القدرة الإلهية المطلقة"؛ فإذا كان الإنسان "يخلق" فعله، فهذا يعني وجود "خالقين" في الكون، مما يمس بـ "توحيد الأفعال."

٢-١- **الأشاعرة: الحرية كـ "مناط للتكليف" (نظرية الكسب)** جاءت الأشعرية كرد فعل على "غلو" المعتزلة، ومحاولة للتوفيق بين "القدرة الإلهية المطلقة" (التي تؤكد عليها نصوص الوحي) وبين "مسؤولية الإنسان" الظاهرة.

١- **المفهوم المركزي" :**الكسب .(Acquisition) "الله هو "الخالق" الوحيد لكل الأفعال، بما فيها أفعال العباد. أما دور الإنسان، فهو "الكسب."

٢- يشرح الباقلاني "الكسب" بأنه "اقتران (Conjunction) "قدرة العبد المحدَثة بالفعل الذي يخلقه الله في نفس اللحظة (الباقلاني، ١٩٥٧: ٨٠). فالإ nsanلا يؤثر في "إيجاد" الفعل، بل "يقارنه" باختياره وإرادته.

٣- **التوازي مع أنسلم :(Anselm)** هذا الموقف الأشعري، على تعقيده، يوازي المحاولات اللاهوتية في الفكر المسيحي للتوفيق بين الإرادة الإلهية والإنسانية .القديس أنسلم، على سبيل المثال، لم يعرف الحرية بأنها "القدرة على الاختيار بين الخير والشر" (كما قد يظن)، بل عرفها بأنها "القدرة على الحفاظ على الاستقامة من أجل الاستقامة ذاتها" (علي، ٢٠٢٥: ١١٣) .عند أنسلم، الإرادة الحرة الحقيقية (كإرادة الله والملائكة) لا تستطيع أن "تخطئ ."الإnsan، بامتلاكه "العقل "، مُنح هذه الاستقامة، لكنه "فقدها" بالسقوط .هذا الطرح، الذي يربط الحرية بـ "الغاية" (الاستقامة) وليس بـ "القدرة على الخلق"، يتقاطع مع

"الكسب" الأشعري الذي يربط مسؤولية الإ nsanبـ "النية" و "الاختيار" (المقارنة) وليس بـ "الخلق" (الإيجاد).

٤- **الغاية :**الحفاظ على "التوحيد المطلق" (لا خالق إلا الله) و "شمولية القدرة الإلهية". فكل ما في الكون هو بخلق الله وعلمه الأزلي (الغزالي، ١٩٦١: ١٠٥).

٥- **الإشكالية :**واجه هذا الطرح إشكالية "الجبر" و "غموض" مفهوم الكسب. فإذا كان الله هو الخالق، والإنسان مجرد "كاسب"، فكيف يكون مسؤولاً حقاً؟ (فولفسون، ١٩٧٦: ٦٧٠).

المحور الثاني: سياقات "علم الكلام الجديد" وتحديات الحداثة

لم يعد "علم الكلام الجديد" يواجه خصوماً تقليديين كالدهرية أو الفرق الأخرى، بل واجه "بارادايم" معرفياً جديداً (الحداثة)، يضع "الإنسان" في المركز. هذا التحدي لم يكن فلسفياً فحسب، بل كان "منهجياً" بالدرجة الأولى.

٢-١- التحدي المنهجي: الأصالة أم الحداثة؟ يطرح الجدل الدائر حول "تجديد أصول الفقه" نموذجاً ممتازاً لفهم تحديات "تجديد علم الكلام ."فدعاة التجديد انقسموا إلى رؤيتين منهجيتين (بابا وآخرون، ٢٠٢٢: ١٧٧):

١. **منهج "الأصالة" (التجديد من الداخل) :**يرى أن التجديد يعني "البناء على ما وضعه الأوائل ومن ثم تنقيته وتنقيحه من الشوائب "أو "تبسيطه وتسهيله للقارئ ."هذا المنهج لا يهدف للقطيعة، بل "للإحياء" و "التنقية."

٢. **منهج "الحداثة" (التجاوز) :**يرى أصحابه "عدم الاكتفاء بما وضعه الأوائل وفي الوقت نفسه عدم الالتزام به "، والسبب أن ذلك التراث "وضع لزمانهم، وبتطور الزمان وتغيير المكان لابد من وضع أسس جديدة لأصول جديدة."

هذا الانقسام المنهجي هو بالضبط ما واجهه "علم الكلام الجديد". هل يكتفي بـ "تنقية" مفاهيم المعتزلة والأشاعرة (الأصالة)، أم يجب عليه "تجاوز" إطارهم الميتافيزيقي بالكامل (الحداثة)؟

٣. **أفول الميتافيزيقا وصعود "الإنسان (Humanism)** "شهد الفكر الغربي تحولاً من "المركزية الإلهية (Theocentrism) "إلى "المركزية الإنسانية .(Anthropocentrism) "الفلسفات الحديثة أسست "الأخلاق" على "الإرادة الإنسانية المستقلة (Autonomy) "(طه عبد الرحمن، ٢٠٠٠: ٥٠). هذا شكل تحدياً هائلاً لعلم الكلام الذي كان يؤسس كل شيء على "الله."

٤. **تحدي الحتمية المادية والعلمية** إذا كان الكلام القديم يواجه "الجبر الإلهي"، فالكلام الجديد يواجه "الجبر المادي" (الداروينية، الماركسية، الفرويدية) .لم يعد يكفي الرد على "الكسب" الأشعري، بل يجب الرد على ماركس وفرويد (شريعتي، ١٩٨٥: ٦٦).

٢-٢- الحاجة إلى "إنسان فاعل" للنهوض الحضاري في سياق الهزيمة الحضارية، أصبح "الفهم الجبري" للقدر عائقاً أمام النهوض. احتاج المصلحون إلى صياغة "عقيدة" جديدة تمنح الإنسان "الإرادة" و "الفاعلية" لتغيير واقعه. أصبح السؤال: كيف يمكن أن نكون أحراراً ومسؤولين عن "صناعة التاريخ"؟ (العروي، ١٩٩٣: ١٠١).

المحور الثالث: إعادة صياغة الإرادة في الفكر الكلامي الجديد

استجاب "علم الكلام الجديد" لهذه التحديات، متأثراً بالانقسام المنهجي بين "الأصالة" و "الحداثة."

٣-١- محمد إقبال: "الأنا" الفاعلة (نموذج الأصالة والتجديد) يعتبر إقبال رائد هذا التحول، وهو يمثل منهج "الأصالة" (التجديد من الداخل).

١. **المفهوم المركزي" :**الأنا الفاعلة". لم يتخلَّ إقبال عن الميتافيزيقا، بل أعاد قراءتها. في كتابه "تجديد الفكر الديني"، يرى أن "الأنا (Ego) "الإنسانية حقيقة واقعة وفاعلة.

٢. الحرية ليست "اختياراً" سلبياً (كما في الكسب)، بل هي "مشاركة" في الخلق الإلهي. القدر عند إقبال ليس قوة قاهرة، بل هو "مجموع إمكانيات الفعل(Sum of possibilities) "، وعلى "الأنا" المبدعة أن تختار منها (إقبال، ٢٠١٠: ١٣٥).

٣. **الغاية :**الانتقال من "إسلام سكوني" إلى "إسلام حركي". الإنسان "نائب" (خليفة) لله، ووظيفته ليست "القبول" السلبي بالقدر، بل "تحقيقه" بشكل إبداعي.

٣-٢- حسن حنفي: الحرية كـ "تحرر" (نموذج الحداثة الملتزمة) يمثل حنفي نموذجاً أقرب إلى "الحداثة "، التي تدعو لوضع أسس جديدة تتناسب مع "روح العصر."

١. **المفهوم المركزي" :**التحرر". في مشروع "من العقيدة إلى الثورة"، يقوم حنفي بـ "تأويل" العقائد لخدمة "الواقع". الحرية ليست هبة ميتافيزيقية، بل هي "فعل (Praxis) "يكتسبه الإنسان من خلال "النضال" ضد كافة أشكال القهر (حنفي، ١٩٨٨: ٢٢٥).

٢. **الغاية :**تحويل "علم الكلام" من "علم نظري (Theology) "يبرر الواقع، إلى "أيديولوجيا للثورة " (Ideology) تغير الواقع.

٣-٣- نصر حامد أبو زيد: الإرادة كـ "تأويل" (نموذج الحداثة التأويلية) يمثل أبو زيد أيضاً منهج "الحداثة "، الذي يرى أن الأسس القديمة "وضعت لزمانهم."

١. **المفهوم المركزي" :**الإرادة التأويلية". يرى أبو زيد أن "النص" هو ساحة الصراع. الحرية الحقيقية تكمن في "حرية الإنسان" في تأويل هذا النص.

٢. القول بـ "المعنى الواحد" هو شكل من أشكال "الجبر" الفكري. الإرادة الإنسانية تتجلى في "إنتاج الدلالة" من النص بما يتناسب مع الواقع المتغير (أبو زيد، ١٩٩٨: ٢٠٠).

٣. **الغاية :**تحرير العقل المسلم من "سلطة النص" (بفهمه التقليدي) لصالح "سلطة العقل" الذي يتفاعل مع النص وينتج معنى إنسانياً.

المحور الرابع: دراسة مقارنة ـ نقاط الاتصال والانفصال

عند مقارنة الطرحين (القديم والجديد)، ومقارنة الكلام الإسلامي باللاهوت المسيحي، نجد أن "المسألة" تغيرت وتحورت بشكل عميق.

٤-١- المقارنة (القديم/القديم): الكلام الإسلامي واللاهوت المسيحي يكشف تحليل المصادر أن الجدل الكلامي القديم لم يكن معزولاً.

١. **تطابق الإشكالية :**كان اللاهوتيون المسيحيون (مثل يوحنا الدمشقي) والمعتزلة يواجهون "نفس" الخصم: "الجبرية (Fatalism) "و "المانوية" (التي تقول بأصلين للخير والشر).

٢. **تطابق البراهين :**كلاهما (الدمشقي والمعتزلة) استخدما "نفس" البراهين العقلية لإثبات الحرية:

برهان العدل (الثواب والعقاب) :كلاهما أكد أن "التكليف" (الأمر والنهي) و "الجزاء" (الثواب والعقاب) يفقدان معناهما دون حرية اختيار (جاد الله، ٢٠٢٣: ١٦٨، ١٧٠.(

برهان الوجدان (النفسي) :كلاهما ميّز بين الأفعال "الاختيارية" (طوعاً) والأفعال "الاضطرارية" (قسراً) كدليل بديهي على الحرية (جاد الله، ٢٠٢٣: ١٧٧).

٣. **حل إشكالية الشر :**كلاهما (الدمشقي والمعتزلة) توصلا إلى أن "الشر" ليس "جوهراً" خلقه الله، بل هو "عرض" ناتج عن "سوء استخدام الإرادة الحرة" الإنسانية (جاد الله، ٢٠٢٣: ١٨٠، ١٨٢).

٤. **حل إشكالية العلم الإلهي :**كلاهما (الدمشقي، أبو قرة، المعتزلة) اتفقوا على أن "العلم الإلهي المسبق" لا ينفي الحرية. الله "يعلم" ما سنختاره بحريتنا، لكنه "لا يُجبرنا" على اختياره .العلم "كاشف" وليس "مُجبِراً" (جاد الله، ٢٠٢٣: ١٨٥، ١٨٧).

٥. **المقارنة مع أنسلم/الأشاعرة :**بينما انحاز الدمشقي/المعتزلة لـ "الحرية" لحل إشكالية "العدل"، نجد أن أنسلم/الأشاعرة انحازا لـ "القدرة الإلهية المطلقة ."أنسلم يرى أن الإرادة الحرة الحقيقية "لا تستطيع" فعل الشر ، والأشاعرة يرون أن الإ" nsanلا يخلق" الفعل. كلاهما محاولة معقدة للحفاظ على "السيادة الإلهية (Sovereignty) "مع الإبقاء على "مناط التكليف."

٤-٢- المقارنة (القديم/الجديد): انزياح البارادايم

١. **من الميتافيزيقا إلى الأنثروبولوجيا :**الكلام القديم كان "ثيولوجياً(Theological) "؛ سؤاله المركزي: "كيف نبرر أفعال الله (العدل/القدرة)؟ ."الكلام الجديد هو "أنثروبولوجي(Anthropological) "؛ سؤاله المركزي: "كيف نحقق فاعلية الإنسان؟."

٢. **من "الفعل (Act) "إلى "الفاعلية :(Agency)** "اهتم القدماء بـ "لحظة" وقوع الفعل (من يخلقه؟). اهتم الجدد بـ "السياق" و "العملية (Process) "التي تجعل الإنسان فاعلاً.

٣. **من "الأصالة" إلى "الحداثة :**"باستخدام إطار دراسة (بابا وآخرون، ٢٠٢٢) ، نرى أن الكلام القديم (معتزلة وأشاعرة) كان يمارس "الأصالة" (البناء على النص وتنقيحه) .أما الكلام الجديد (حنفي وأبو زيد) فيمارس "الحداثة" (تجاوز النص لصالح الواقع، ووضع أسس جديدة).

النتائج:

١. أثبت البحث أن إشكالية "الحرية والإرادة" هي إشكالية "بنيوية" في الفكر التوحيدي، وأن الجدل الكلامي الإسلامي كان يوازي في براهينه وغاياته (خاصة عند المعتزلة) الجدل اللاهوتي المسيحي (عند الدمشقي وأبي قرة).

٢. كانت المعالجة في "علم الكلام القديم" (عند كل الفرق، وعند اللاهوتيين كأنسلم) **معالجة ميتافيزيقية-دفاعية،** هدفها الأساسي هو الحفاظ على "انسجام" التصور العقدي (إما "العدل "أو "القدرة).

٣. أدى "الكسب" الأشعري، رغم عبقريته التوفيقية، إلى نتائج سلبية على مستوى "الفاعلية" في عصور الانحطاط، حيث فُهم على أنه "جبرية) (Fatalism) "الخضيري، ٢٠١٩: ٥٥.(

٤. جاء "علم الكلام الجديد" ليقوم بـ **"قلب السؤال**(Problem-Shifting) "، مستجيباً لتحديات الحداثة.

٥. انقسم "علم الكلام الجديد" منهجياً إلى تيار "الأصالة" (كإقبال) الذي يجدد من داخل التراث ، وتيار "الحداثة" (كحنفي وأبو زيد) الذي يرى ضرورة التجاوز وتأسيس أصول جديدة تلائم العصر.

٦. أعاد مفكرو الكلام الجديد تعريف "الإرادة" ليس كـ "اختيار" ميتافيزيقي، بل كـ "طاقة" إبداعية (إقبال)، أو "قوة" تحررية (حنفي)، أو "قدرة" تأويلية (أبو زيد).

التوصيات:

١. ضرورة تجاوز "الاستقطاب" التقليدي (جبر/تفويض) في الخطاب الديني المعاصر، والانتقال إلى "فقه الفاعلية" الذي يركز على شروط تمكين الإنسان.

٢. دعوة المؤسسات الأكاديمية والدينية إلى "تحديث" مناهج علم الكلام، لتشمل "الدراسات المقارنة" مع اللاهوتيات الأخرى (المسيحية واليهودية) لإدراك البعد المشترك للإشكاليات.

٣. الاستفادة من الجدل المنهجي في "أصول الفقه "لتوضيح "منهجيات" التجديد في علم الكلام، والتمييز بين "التجديد الأصيل" (التنقية والإحياء) و "التحديث" (التجاوز والبناء الجديد).

٤. تشجيع الدراسات التي تربط بين "الحرية الكلامية" (النظرية) و "الحريات العامة" (السياسية والاجتماعية)، لبناء ثقافة دينية تدعم "المسؤولية" و "المواطنة."

٥. ضرورة تطوير "نظرية أخلاقية" إسلامية تستند إلى "حرية الإرادة" كمسؤولية وجودية وتاريخية، وليس مجرد "مناط للتكليف" الأخروي، وهو ما حاولت تقديمه بعض النماذج اللاهوتية كأنسلم بربط الحرية بـ "الاستقامة."

خاتمة: في ختام هذا البحث، يتضح أن جدلية "الحرية والإرادة" هي النبض الحي للفكر الكلامي واللاهوتي .لقد انتقل هذا الفكر من "لاهوت الدفاع عن الله (Theodicy) "في صيغته القديمة، إلى "لاهوت تحرير الإنسان " (Liberation Theology)في صيغته الجديدة. إن نجاح "علم الكلام الجديد" في مهمته لا يكمن في إيجاد "حل نهائي" لهذه المعضلة الأزلية، بل في قدرته المستمرة على "إعادة طرح السؤال" بطريقة تجعل الإيمان بالله دافعاً لـ "تحقيق" حرية الإنسان و "تفعيل" مسؤوليته الحضارية، بدلاً من أن يكون قيداً عليها. ويبقى التحدي الأكبر هو بناء "إنسان" يرى في "إرادته" الحرة أسمى تجلٍ لـ "الأمانة" التي حملها، وفي "قدرته" على الفعل تحقيقاً لـ "الاستخلاف" الإلهي في الأرض:.

المصادر والمراجع :

١. أبو زيد، نصر حامد .(1998) .*الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية* .القاهرة: مكتبة مدبولي.

٢. أركون، محمد .(1996) .*نقد العقل الإسلامي* (ترجمة هاشم صالح). بيروت: دار الساقي.

٣. بابا، ثاوات محمد آغا؛ وعارف، عارف علي؛ وسمارة، إحسان عبد المنعم. (٢٠٢٢). "تجديد علم أصول الفقه بين الأصالة والحداثة: دراسة تحليلية مقارنة ."*مجلة الحكمة العالمية للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية*، المجلد ٥، العدد ١ .

٤. الباقلاني، أبو بكر .(1957) .*الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به* (تحقيق محمد زاهد الكوثري). القاهرة: مكتبة الخانجي.

٥. جاد الله، عادل سالم عطية. (٢٠٢٣). "حرية الإرادة وإشكالية الشر في العالم عند اللاهوتيين يوحنا الدمشقي (ت: ٧٤٩م) وتيودور أبي قرة (ت: ٨٢٠م) مقارنة بالمعتزلة ."*مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم(FRAZ)* ، المجلد ٣٢، العدد ٣ .

٦. الجابري، محمد عابد .(1991) .*بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية* . بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٧. حنفي، حسن .(1988) .*من العقيدة إلى الثورة* (المجلد الأول). القاهرة: مكتبة مدبولي.

٨. الخضيري، زينب. (٢٠١٩). "إشكالية الفاعلية بين علم الكلام القديم والفكر الإسلامي المعاصر ."*مجلة الدراسات الإسلامية*، جامعة القاهرة، المجلد ٣٤، العدد ٢.

٩. الخولي، عبد الرحمن .(2017) .*جدل الأنا والآخر في الفكر الإسلامي المعاصر* .بيروت: دار التنوير.

١٠. الخياط، أبو الحسين .(1925) .*الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد* .القاهرة: المطبعة الرحمانية.

١١. دريدا، جاك .(1989) .*الكتابة والاختلاف* (ترجمة كاظم جهاد). بغداد: دار الشؤون الثقافية.

١٢. شريعتي، علي .(1985) .*النباهة والاستحمار* (ترجمة حيدر مجيد). طهران: مؤسسة الإمام.

١٣. طه عبد الرحمن .(2000) .*روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية* .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

١٤. العروي، عبد الله .(1993) .*مفهوم التاريخ* .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

١٥. علي، أسمهان محمد شاكر. (٢٠٢٥). "ماهية الإرادة الإنسانية وخصائصها عند القديس أنسلم ."*مجلة كلية الآداب - جامعة بني سويف*، العدد ٧٦ .

١٦. عمارة، محمد .(1993) .*المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية* .بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٧. الغزالي، أبو حامد .(1961) .*الاقتصاد في الاعتقاد* (تحقيق إبراهيم آكاه شبوقجي). أنقرة: مطبعة جامعة أنقرة.

١٨. فخري، ماجد .(1997) .*تاريخ الفلسفة الإسلامية* (ترجمة كمال اليازجي). بيروت: الدار المتحدة للنشر.

١٩. القاضي عبد الجبار .(1965) .*المغني في أبواب التوحيد والعدل* (المجلد ٨: في خلق الأفعال) (تحقيق إبراهيم مدكور وآخرون). القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٠. النشار، علي سامي .(1978) .*نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام* (الجزء الأول). القاهرة: دار المعارف.

٢١. يوسف، أحمد. (٢٠٢١). "مفهوم الحرية بين الأشعرية المحدثة والفلسفة الوجودية: دراسة مقارنة ." *مجلة كلية دار العلوم*، جامعة المنيا، العدد ٥٨.

٢٢. إقبال، محمد .(2010) .*تجديد الفكر الديني في الإسلام* (ترجمة عباس محمود). القاهرة: دار الهلال

٢٣. فولفسون، هاري أ .(1976) .*فلسفة علم الكلام* (ترجمة مصطفى لبيب عبد الغني). القاهرة: (نشر خاص).

24. Anselm of Canterbury. (1998). *Anselm of Canterbury: The Major Works*. (Edited by Brian Davies and G.R. Evans). Oxford: Oxford World's Classics. 25.
25. Fakhry, M. (1997). *A History of Islamic Philosophy* (2nd ed.). New York: Columbia University Press. 26.
26. Hourani, G. F. (1971). *Islamic Rationalism: The Ethics of 'Abd al-Jabbar*. Oxford: Clarendon Press. 27.
27. Iqbal, M. (1934). *The Reconstruction of Religious Thought in Islam*. London: Oxford University Press. 28.
28. Watt, W. M. (1973). *The Formative Period of Islamic Thought*. Edinburgh: Edinburgh University Press. 29.
29. Wolfson, H. A. (1976). *The Philosophy of the Kalam*. Cambridge, MA: Harvard University Press